# سليمان باشا العظم والي دمشق

## المرحلة الأولى ١١٤٦-١١٥١هـ الموافق ١٧٣٤-١٧٣٨م

## المرحلة الثانية ١١٥٤-١١٥٦هـ الموافق ١٧٤١-١٧٤٣م

## دراسة تاريخية وثائقية

**د. إبراهيم فاعور الشرعة**

قسم التاريخ - كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية - الجامعة الأردنية

تحاول هذه الدراسة الكشف عن شخصية سليمان باشا العظم، الذي يعد من أبرز الشخصيات في عائلة آل العظم، الذين تولوا إدارة ولاية دمشق، حيث تولى سليمان باشا العظم على ولاية دمشق خلال فترتين بدأت منذ منتصف القرن الثاني عشر الهجري/ منتصف القرن الثامن عشر الميلادي، وقد كان له الأثر البارز في تسيير شؤون الولاية؛ وذلك بالمحافظة على الأمن والاستقرار في ولاية دمشق متبعًا في ذلك سياسة التهدئة، وتقوية النفوذ داخل مدينة دمشق وخارجها، إضافة إلى عنايته بالمنشآت العمرانية فيها؛ بالإضافة إلى الاهتمام الموسمي بقافلة الحج الشامي. وستعتمد هذه الدراسة على وثائق عثمانية جديدة لها صلة بالموضوع؛ بالإضافة إلى ما تم نشره حول تاريخ هذه الفترة في الدراسات الحديثة.

مجلة فصلية محكمة تصدر عن دارة الملك عبدالعزيز
العدد الأول المحرم ١٤٢٩هـ، السنة الرابعة والثلاثون
الدارة

## حياته وأعماله:

هو سليمان باشا بن إبراهيم العظم النعماني من (معرة النعمان-حماة)[١]، لقب بألقاب عديدة من أبرزها: الوزير المفخم، والمشير المعظم، وكافل دمشق، والدستور المكرم[٢]. وكان من أهل العلم والمطالعة، محبًا للعلماء وأهل الصلاح، وعادلاً، وحليمًا، وصاحب خيرات[٣].

تولى سليمان باشا ولاية طرابلس (١١٣٨-١١٤٠هـ/١٧٢٥-١٧٢٧م)، بعد نقل أخيه إسماعيل باشا إلى ولاية دمشق في عام (١١٣٨هـ/١٧٢٥م)، وصار جرداويًا (أمير الجردة)[٤]

(١) عبد الكريم رافق: بلاد الشام ومصر من الفتح العثماني إلى حملة نابليون بونابرت (١٥١٦-١٧٩٨)، دمشق، ١٩٦٧، ص٣١٣.

(٢) محمد بن عيسى بن كنان: المواكب الإسلامية في الممالك والمحاسن الشامية، ق١، تحقيق: حكمت إسماعيل، وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٩٢م، ص١٧٨-١٨٠.

(٣) أحمد البديري الحلاق: حوادث دمشق اليومية ١١٥٤-١١٧٥هـ/ ١٧٤١-١٧٦٢م، تحقيق: أحمد عزت عبدالكريم، الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، القاهرة، (د.ت)، ص٤٥؛ ابن كنان: المواكب الإسلامية، ق١، ص١٦٨، ١٧٩.

(٤) الجردة: هي القافلة التي تحمل المؤن إلى قافلة الحج الشامي وهي في طريق عودتها من الحجاز، حيث كانت الدولة العثمانية تختار أحد وزرائها أو ولاتها في حلب أو طرابلس أو صيدا أو حاكم غزة، إن عاد الحجاج عن طريق (الدرب الغزاوي)، ليقوم بهذه المهمة؛ فيعكف الوزير (سردار الجردة) على إعداد قافلة الجردة، المكونة من: بقسماط وزيت وأرز وشعير وعليق وحبال وملابس؛ تعد لإسعاف الحجاج في طريق عودتهم إلى دمشق، خشية أن يكون ما عندهم قد نفد. حيث قدر البعض أن الجردة تكلف (٧٥٠) كيسا (والكيس خمسة جنيهات). للمزيد انظر؛ البديري: حوادث دمشق اليومية، ص٥٢-٥٣ هامش (١).

لأخيه الوزير إسماعيل، ثم نقل سليمان باشا إلى ولاية أورفا (الرها) في عام (١١٤٠هـ/١٧٢٧م)، ولكنه عُزل منها بعد عام؛ فتولى صيدا (١١٤١ -١١٤٣هـ/ ١٧٢٨-١٧٣٠م)، وبها صارت له الوزارة، ثم ولي طرابلس ثانيةً (١١٤٤-١١٤٧هـ/١٧٣١-١٧٣٤م). وحاز سليمان باشا على شهرة كبيرة حين أخمد ثورة في طرابلس، في بدء ولايته عليها، وحينما أسهم في حماية الحجاج بصفته أميرًا للجردة[٥].

تولى سليمان باشا ولاية دمشق مرتين، الأولى: في الفترة ما بين (شعبان ١١٤٦-ربيع الثاني١١٥١هـ/ كانون الثاني [يناير]١٧٣٤- تموز[ يوليو]١٧٣٨م) بعد عزله عن ولاية صيدا[٦]، وكان فيها معاصرًا للمؤرخ ابن كنان، الذي مدحه بقصيدة؛ فأهداه بدوره سليمان باشا هدية، وبالمقابل أهدى ابن كنان لسليمان باشا كتابه "المواكب الإسلامية في الممالك والمحاسن الشامية"؛ وذلك أملا في الحصول على وظيفة مدرس في مدرسة المقدمية[٧].

وعزل سليمان باشا عن ولاية دمشق في عام (١١٥١هـ/١٧٣٨م)؛ بسبب إخفاقه في تأمين سلامة قافلة الحج الشامي، واحتجاج أهالي دمشق على تهاونه؛ إذ رموه

(٥) محمد علي كرد: خطط الشام، دمشق، ١٩٢٥م، ص ٢٩٠، ٢٩٣؛ رافق: بلاد الشام ومصر، ص ٣١٦، ٣١٩-٣٢٠.

(٦) ابن جمعة: الباشات والقضاة، ولاة دمشق في العهد العثماني، تحقيق: صلاح الدين المنجد، دمشق، ١٩٤٩م، ص٦٥.

(٧) ابن كنان: المواكب الإسلامية، ق١، ص ١٦٨.

بالحجارة والنار من فوق القلعة، وطردوه من المدينة؛ فانتهت فترة ولايته الأولى التي استمرت خمس سنوات(٨). ولكن سليمان باشا حاول أن يعود بسرعة إلى ولاية دمشق فأنفق أموالاً كثيرة في إستانبول لهذه الغاية، ولكنه فشل مؤقتًا(٩).

أما المرة الثانية: فكانت في الفترة ما بين (ربيع الثاني ١١٥٤ - رجب ١١٥٦هـ/تموز[يوليو] ١٧٤١- آب[أغسطس] ١٧٤٣م)، حيث تولى ولاية دمشق في بداية رجب بعد حكمه لمصر(١٠). وأبرز عمل قام به خلال هذه الحقبة حصاره لظاهر العمر في قلعة طبريا، حيث مات وهو محاصر لها، في (٤ رجب ١١٥٦هـ/ ٢٥ آب[أغسطس] ١٧٤٣م)، في قرية لوبية بالقرب من قلعة طبريا، ودفن في مدينة دمشق في ٧ رجب/٢٧ آب[أغسطس] بمقبرة باب الصغير(١١).

وكان سليمان باشا قد تولى ولاية مصر(١٢) في عام (١١٥٢-١١٥٣هـ/ ١٧٣٩-١٧٤٠م)، ولم تدم فترة ولايته أكثر

---

(٨) ابن جمعة: الباشات والقضاة، ص٦٨؛ ابن كنان: المواكب الإسلامية، ق١، ص٣٦.

(٩) رافق: بلاد الشام ومصر، ص٣٢٨.

(10) Brigitte Marino: "Les investissements de Sulayman Pacha Al-Azm adamas", Annales islamologiques, Vol.34, 2000, p.209.

(١١) ابن جمعة: الباشات والقضاة، ص٦٩؛ رسلان بن يحيى القاري: الوزراء الذين حكموا دمشق، ولاة دمشق في العهد العثماني، تحقيق: صلاح الدين المنجد، دمشق، ١٩٤٩م، ص٧٨.

(١٢) انظر بخصوص ولاية سليمان باشا العظم لمصر؛ أحمد الدمرداشي: الدرة المصانة، تحقيق: عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم، المعهد العلمي الفرنسي، القاهرة، ١٩٨٩م، ص١١٢-٢٢٣.

من عام، حيث نازعه أمراء المماليك هناك، إذ شكوه للسلطان العثماني محمود الأول (١١٠٨-١١٦٨هـ/١٦٩٦-١٧٥٤م)؛ فعزله. ويظهر أن سليمان باشا قد دبّر مكيدة للفتك بعدد من أمراء المماليك، ونجح بذلك، حيث تجمع عليه خصومه؛ فاحتمى بباب الانكشارية[١٣]، ولكنهم رفضوا حمايته؛ فترك مصر. وكان ممن استعان بهم سليمان باشا في عمله السابق الأمير عمر بك بن علي قطامش، الذي توسط عند سليمان باشا للشيخ ظاهر العمر[١٤].

وكان لسليمان باشا أبناء عدة، هم: إبراهيم بيك، وملك خانم، وأمينة خانم (البكر)، وخديجة خانم وقد لقب بناته بلقب "الست"، وعلى الأرجح أنهن متزوجات. كما أن لديه بنتين، وقد توفين قبل (١٠ شوال ١١٤٧هـ/ ٥ آذار[مارس] ١٧٣٥م)، وهن: سلمى خان خانم وشرف خان خانم، حيث كانت متزوجة من سعد الدين بن إسماعيل باشا العظم وهو ابن عمها، ومن المحتمل أن سعد الدين قد تزوج أختها أمينة خانم التي أنجبت منه فاطمة، حيث منحت أمينة خانم ابنتها فاطمة موارد الوقف الذي أقامته في (١١ جمادى الأولى ١١٧٧هـ/١٧ تشرين الثاني[نوفمبر] ١٧٦٣م)[١٥].

---

(١٣) الانكشارية: يطلق عليها (يني جري) أي الجيش الجديد، الذي كان يتم تجنيده بوساطة الدوشرمة، والذي كانت تدفع رواتبه من الخزينة. انظر؛ خليل إينالجك: تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار، ترجمة: محمد الأرناؤوط، دار المدار الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٢م، ص٣٣٩.

(١٤) البديري: حوادث دمشق اليومية، ص٢٧ هامش (٢).

(15) Marino: Les Investissements de Sulayman Pacha, pp.211, 212.

لقد ترك سليمان باشا إنجازات كثيرة، خاصة في مجال البناء، من أبرزها[١٦]:

١ - خان[١٧] في سوق العبي والصوف، يتميز بروعة بنائه وكبر حجمه، كان يدعى بخان الحمصيين، لأن تجار حمص كانوا يترددون عليه في القرن التاسع عشر.

٢ - مدرزة (مخيطة) في حي نور الدين.

٣ - حمام في حي الجابية وهو مشترك مع خان البهرامية، أخذ هذا الحمام اسم سوق البهرامية أو سوق المرادينية، ويعد من أشهر حمامات دمشق وأجملها، حيث تهدم في عام (١٣٠٨هـ /١٨٩٠-١٨٩١م).

٤ - وحمام في حي خراب؛ إذ إنه لا يحمل اسمًا خاصًا، ويقع إلى الشرق من الحمّام الذي بناه أخوه إسماعيل باشا قبل ذلك بعدة أعوام، وانهار في عام (١٣٤٩هـ/١٩٣٠م).

وكان سليمان باشا قد بنى القيسارية العظمى في عام (١١٢٤هـ/ ١٧١٢م) قبل توليه السلطة؛ لتوسيع التجارة وحبا للشهرة، وتخليدًا لمآثره في دمشق[١٨]. وفي عام (١١٤٨هـ/

---

(١٦) المرجع نفسه، ص٢٠٩، ٢١٠.

(١٧) خان: يشبه الفندق المتسع لإيواء المسافرين، وكان للخانات مداخل ضخمة ذات عقود وأبراج، وتتكون من الداخل من صحن متسع تربط فيه الدواب، ويحف بالصحن حجرات حواصل تودع فيها العروض، تعلوها حجرات أخرى لمبيت المسافرين، وفي الخارج حوانيت للتجارة. الموسوعة العربية الميسرة والموسعة، إعداد: ياسين صلواتي وآخرون، م(٤)، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ٢٠٠١، ص١٥٩٤.

(١٨) ابن كنان: المواكب الإسلامية، ق١، ص٨١.

١٧٣٥م) "فتح الحمام الذي أنشأه غربي قيسارية بهرام شرقي السنانية". وفي عام (١١٥٣هـ/١٧٤٠م) بنى حمام شمالي الدرويشية وجنوبي السرايا وغربي الاخصائية، حيث أوقفه للحرمين الشريفين، وأجّره بـ (١١١) قرشًا لمدة عام(١٩).

وفي (جمادى الأولى ١١٥٦هـ/ حزيران - تموز [يونيو - يوليو] ١٧٤٣م)، بدأ سليمان باشا بتعمير نهر قنوات (بردى) وترميمه(٢٠)، من ماله الخاص، حيث جمع له (٢٠٠) عامل؛ فأمر بقطع الصخر، وتشييد أركان النهر، وإصلاح ما فسد منها، ورفع جدرانه، وخلال (١٥) يومًا أكمل البناء؛ فأمر بإطلاق النهر، ففرح به أهل دمشق، ومدح الشيخ عبدالرحمن البهلول عمل سليمان باشا هذا بقوله:

جزى المولى أمير الشام خيرًا سليمان الزمان ودام دهرا
بما قد جدّد القنوات صدقًا بإخلاص زكا سرًا وجهرا(٢١)

وبنى سليمان باشا خان الليمون، حيث جعله عشرة مسالخ، لذبح المواشي، مضافًا إلى المسالخ في الصالحية والميدان(٢٢).

كما قام سليمان باشا بتعيين وقف على أبنائه (إبراهيم، وملك، وأمينة، وخديجة) في (٢٦جمادى الأولى ١١٤٨هـ/ ١٤تشرين الأول[أكتوبر] ١٧٣٥م)، يشتمل على خمسة عشر

(١٩) المصدر نفسه، ق١، ص١١٣.

(20) Abdul-Karim Rafeq: The Province of Damascus 1723-1783, Khayats, Beirut, 1966, p. 147.

(٢١) البديري: حوادث دمشق اليومية، ص٤٠-٤١.

(٢٢) ابن كنان: المواكب الإسلامية، ق١، ص١١٣.

ملكًا، في أحياء مختلفة من دمشق، وخاصة في القسم الغربي منها، بين المسجد الأموي وباب الجابية؛ في حي نور الدين (خمسة منازل أحدها مزود بحمام وإسطبل)، وفي سوق البهرامية والمرادينية (حمام، وحانوت، وفرن)، وفي سوق العبي والصوف (خان وقاعة النشا). ومن جهة أخرى كان عند سليمان باشا أملاك أخرى مبعثرة؛ كالتي في أحياء (خان قاه الشنباشية)، حيث كان يوجد خان، وفي حي مدرزة (مخيطة) البدراعية كان هنالك دار، وفي محلات النصارى كان هنالك (حوش). قام سليمان باشا باكتساب هذه الأملاك المختلفة من خلال عدة صفقات تجارية، قام بإنجازها بين (جمادى الأولى ١١٤٧- جمادى الأولى ١١٤٨هـ/ تشرين الأول[أكتوبر] ١٧٣٤- تشرين الأول[أكتوبر] ١٧٣٥م)(٢٣).

يتبين لنا أن سليمان باشا كان مهتما بحفظ إرث أبنائه من خلال تعيين وقف لمصلحتهم، وقد اهتم بشكل خاص بحفظ إرث ابنه إبراهيم بصفته وصيا عليه، من خلال عمل عدة صفقات تجارية إضافية غير منقولة، لمصلحة ابنه(٢٤).

وفي (٢٢جمادى الأولى ١١٤٧هـ/ ٢٠تشرين الأول[ أكتوبر] ١٧٣٤م) قام سليمان باشا باكتساب أملاك عديدة في صفقة تجارية واحدة، وهذه الأملاك هي: بيتان، ومحلان تجاريان، وثلاث مصابغ منهارة، وأربعة حوانيت أيضا منهارة، وقطعتا أرض في قطاعين من الجزء الغربي داخل مدينة دمشق، وهذان القطاعان هما: سوق العبي والصوف وسوق البهرامية والمرادينية.

---

(23) Marino: Les investissement de Sulayman Pacha, p.213.

(٢٤) المرجع نفسه، ص٢١٢.

تملك سليمان باشا في سوق العبي والصوف دارا، ومحلين تجاريين، وثلاث مصابغ منهارة، وحانوتين أيضا. أما في سوق البهرامية فقد تملك سليمان باشا قطعتي أرض، وحانوتين منهارين ودارا. وعلى هذين القطاعين بنى سليمان باشا الخان في مكان الأنقاض التي في سوق العبي والصوف، وبنى الحمام على قطعة من قطع الأرض التي تقع في سوق البهرامية والمرادينية[٢٥].

وامتلك سليمان باشا طاحونة في سوق (شويقة صاروجا)، التي أصبحت جزءًا هي وست طواحين أخرى في مدينة دمشق وريفها، من وقف لصالح مدرزته (مخيطته). كما امتلك منزلاً إلى الشرق من السرايا[٢٦]. وفي (١٠ شوال ١١٤٧هـ/ ٥ آذار [مارس] ١٧٣٥م) امتلك إسطبلاً وخمسة بيوت مشتركة، أحدها مزود بحمام، وكان سعر هذه البيوت آنذاك (٢٧,٧٥٠) قرشًا، وبذلك يكون سعر البيت الواحد (٥,٥٥٠) قرشًا، كما اشترى سليمان باشا في حي نور الدين ثلاثة قيراطات لمنزل يقع إلى الغرب من مدرزة حجازية بمبلغ (٤٥٠) قرشا. وكان ذلك في (جمادى الأولى ١١٤٩هـ/أيلول - تشرين الأول [سبتمبر-أكتوبر] ١٧٣٦م)[٢٧].

(٢٥) قام سليمان باشا بشراء هذه الأملاك من شخص يدعى محمد بن أبو بكر الجندي، الذي كان هو الآخر قد تملكها من خلال عمليات تجارية، ثم قام ببيعها لسليمان باشا. وكلف سليمان باشا الجندي بجمع الأملاك وتنظيمها بنفسه. انظر: المرجع نفسه، ص٢١٣-٢١٤.

(٢٦) المرجع نفسه، ص٢١٦.

(٢٧) المرجع نفسه، ص٢١٧ - ٢١٨.

يلاحظ مما سبق أن سليمان باشا كان ثريا، حيث استفاد من منصبه كوالي دمشق، واستحوذ على أملاك كثيرة، ويظهر أن معظم هذه الأملاك قد جمعها خلال ولايته الأولى (١١٤٦- ١١٥١هـ/ ١٧٣٤- ١٧٣٨م).

**سياسة سليمان باشا في دمشق وخارجها:**

قامت سياسة سليمان باشا، خلال مدة ولايته الأولى والثانية في دمشق، على سياسة تهدئة الدمشقيين وتقوية قبضته على أهل القرى، ولكنه كان يغير سياسته هذه حسب ما كان يحدث وما يستجد من ظروف؛ ففي (٢٢ جمادى الثانية ١١٥٥هـ/ ٢٤ آب[أغسطس] ١٧٤٢م) أصدر فرمانًا، بعد أن جمع الأفندية والأغوات[٢٨]، تضمن العدل والتفتيش عن المفسدين في دمشق من الانكشارية. وأمر الأغوات للحضور، لكنهم رفضوا؛ فطلب منهم (١٦) شخصًا من الأشقياء، وأزال عنهم امتيازاتهم، التي يتسلمون بها رواتبهم وأهدر دماءهم؛ ففرح أهالي دمشق[٢٩].

---

(٢٨) الأغوات: مفردها أغا بمعنى رئيس، سيد، رئيس قسم الخدمات، رئيس الأسرة، الأخ الكبير، لقب من ألقاب التعظيم، مقر رئيس الانكشارية، وتطلق على الرجل من العوام مقابل المتعلم المتأدب، ولكن المقصود بالأغوات هنا هم رؤساء الفرق العسكرية المختلفة. انظر؛ حسين مجيب المصري: معجم الدولة العثمانية، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ٢٠٠٤م، ص١٨. اينالجيك: تاريخ الدولة العثمانية، ص٣٣٣.

(٢٩) البديري: حوادث دمشق اليومية، ص١٨ - ١٩؛ وانظر حول سياسته، ميخائيل بريك الدمشقي: تاريخ الشام، تحقيق: أحمد غسان سبانو، دار قتيبة، دمشق، ١٩٨٢م، ص٢٤-٢٥.

وكانت سياسة المساومة والاسترضاء التي اتبعها سليمان باشا في دمشق، ملائمة ما دام أن نتائجها قصيرة الأمد، وكانت معنية بالأمر وخصوصًا في الحفاظ على مجرى الأمور دون حدوث ثورات. وتدخل سليمان باشا عندما ثار بعض فقراء مدينة دمشق على ارتفاع أسعار الخبز، وأمر الخبّازين بأن تكون الزيادة في الأسعار معقولة، ولكن هذا كان علاجًا مؤقتًا[٣٠].

وهكذا فقد تجنب سليمان باشا ثورة السكان ضده؛ لأنه تودد إلى سكان مدينة دمشق، ولكنه شدد قبضته على الفلاحين في الريف، الذين أصبحوا أغنياء نتيجة للازدهار الاقتصادي الذي عمّ المنطقة، أثناء ولايته؛ وبسبب ازدياد شراء الفرنسيين للقطن والحرير والقلى المنتجة محليًا[٣١].

أما سياسته خارج دمشق، فقد تمثلت في مقاتلة الشيخ ظاهر العمر الزيداني حاكم قلعة طبريا، ولكن حملته ضد الأخير لم تحقق النجاح القاطع، وبالتالي انتهت بموته[٣٢]. لقد أثار ظاهر العمر قلق سليمان باشا في أمرين مهمين: الأول هو ازدياد سلطته في منطقة صفد، وتحصنه في قلعة طبريا، من قبل حرس أخيه سعد حارس حصن دير حنًّا. وقد كان سليمان باشا يخشى من تأثير قوة ظاهر العمر المتزايدة على إيرادات الميري، واحتمالية احتلاله لمزيد من أراضي ولاية دمشق. أما الأمر الثاني فقد تمثل في أن ظاهر العمر

(٣٠) البديري: حوادث دمشق اليومية، ص١٨ - ١٩.

(٣١) رافق: بلاد الشام ومصر، ص٣١٧.

(٣٢) انظر ما تقدم عن موته في هذه الدراسة.

مجلة فصلية محكمة تصدر عن دارة الملك عبدالعزيز
العدد الأول المحرم ١٤٢٩هـ، السنة الرابعة والثلاثون
الدارة

كان تابعًا لوالي صيدا إبراهيم باشا العظم، وكان سليمان باشا يهتم بأن يدفع ظاهر أموال الميري(٣٣) بانتظام إلى ولاة صيدا لإنفاقها على تمويل جردة الحاج؛ وإذا ما تأخر في دفع ما يترتب عليه، فذلك سوف يكون من مسؤولية والي صيدا(٣٤).

غادر سليمان باشا دمشق في (٣ رجب ١١٥٥هـ/ ٣ أيلول [سبتمبر] ١٧٤٢م) على رأس جيش كبير مكون من الدلاتية(٣٥) وغيرهم؛ لمحاربة ظاهر العمر في منطقة طبريا، وقد رافقه في حملته مدفعيون ومهندسون عسكريون قدموا من إستانبول، هذا وقد ساعد الدروز سليمان باشا في محاصرة طبريا، حيث كان الأمير ملحم الدرزي على علاقة طيبة مع آل العظم في ذلك الوقت. كما ساعد أهالي نابلس

(٣٣) الميري: أملاك وضرائب الحكومة وما يخص الحكومة، وكانت تستعين الدولة بهذه الضرائب لتمويل قافلة الحج الشامي. انظر؛ اينالجيك: تاريخ الدولة العثمانية، ص٣٤٠. عبدالكريم رافق: بحوث في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي لبلاد الشام في العصر الحديث، دمشق،١٩٨٥م، ص١٣٢.

(34) Rafeq: The Province of Damascus, pp.155-156.

رافق: بلاد الشام ومصر، ص٣٤٤؛ وانظر؛ عبود الصباغ: الروض الزاهر في تاريخ ظاهر، تحقيق: محمد محافظة وعصام هزايمة، دار الكندي، إربد ١٩٩٩م، ص٣٣- ٣٤.

(٣٥) الدلاتية: طائفة من الخيالة الخفيفة أُقيمت في الروملي في القرن الخامس عشر وأوائل القرن السادس عشر، لتعمل في مقدمة الجيوش العثمانية، ولما كان جنود الطلائع هؤلاء من الجسارة، بحيث يحملون أنفسهم على الأعداء لا يبالون الموت، ليمهدوا الطريق للجيش ويستطلعوه، وأفضل اسم هو (دليه) بمعنى مجنون، وربما لتهور منتسبي هذه الطائفة سموا بهذا الاسم، انظر، محمد أحمد دهمان: معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، دمشق،١٩٩٠م. ص٧٦.

سليمان باشا؛ لأنهم كانوا مستهدفين من قبل ظاهر العمر، كما أن نائب القدس خليل آغا أبو شنب قدم المساعدة؛ بالإضافة إلى عرب بني صخر وعرب بني صقر الذين كانوا على علاقات سيئة مع ظاهر العمر(٣٦).

وعلى الرغم من الحصار الشامل لقلعة طبريا، الذي استمر لمدة ثلاثة أشهر، والهجوم القاسي على أهلها، حتى إن البحيرة طوقت بالكامل بالقوارب المحمولة على ظهور الجمال، إلا أن ظاهر العمر استمر في المقاومة، وتمكّن من استلام الإمدادات المهربة من أخ ظاهرًا في دير حنا ومن الفرنسيين(٣٧). ويذكر البديري أن ظاهرا استنجد بأحد زعماء الأوجاقات في مصر المدعو عمر بك بن علي قطامش للتوسط بينه وبين صديقه سليمان باشا؛ فوعد سليمان باشا عمر بك قطامش بأنه سينظر في أمر ظاهر العمر. ومن شدة الحصار على طبريا، طلب أهلها الأمان، فدخلها نائب سليمان باشا المدعو علي آغا الترجمان، فعفا سليمان باشا عنهم، وبالمقابل دفع أهالي طبريا (٢٠٠) كيس من المال إلى سليمان باشا، كما أخذ ابن ظاهر العمر رهينة إلى دمشق(٣٨).

---

(36) Rafeq: The Province of Damascus, p157.

البديري: حوادث دمشق اليومية، ص٢١-٢٢؛ أمنون كوهين: فلسطين تحت الحكم العثماني، القدس الجامعة العبرية، ١٩٧١م، ص٨١-٨٢.

(37) Rafeq: The Province of Damascus, pp. 157, 158, 159.

البديري: حوادث دمشق اليومية، ص٢٣.

(٣٨) البديري: حوادث دمشق اليومية، ص٢٧؛ وانظر: كوهين: فلسطين تحت الحكم العثماني، ص٨٤-٨٥.

وبعد انسحاب سليمان باشا من قلعة طبريا وتراجعه إلى دمشق؛ بسبب قرب موعد خروج قافلة الحج، بدأ ظاهر العمر بتقوية نفسه عسكريًا، واتصل بالقنصل الفرنسي في صيدا لكسب دعمه، وليتوسط لدى السلطات العثمانية لمنع سليمان باشا من شن الحملات عليه. كما اتصل بالسفير الفرنسي في إستانبول للغاية نفسها، لكن السفير الفرنسي تردد؛ لأن ظاهر العمر يعدّ ثائرًا من وجهة نظر المسؤولين العثمانيين، وخشيةً من إغضاب سليمان باشا وتأثير ذلك على المصالح الفرنسية في ولاية دمشق، خاصةً أن الفرنسيين غير متأكدين من قوة ظاهر العمر ومقدرته على الاستمرار في مقاومة سليمان باشا[٣٩].

قام سليمان باشا بحملته الثانية ضد ظاهر العمر في (٧ جمادى الثانية ١١٥٦هـ/ تموز[يوليو] ١٧٤٣م)، حيث اتخذ عدة إجراءات وقائية، لتأمين قرى حوران وحمايتها؛ وذلك لخوفه من عمليات الانتقام التي قد يقوم بها بدو زبيد. فبالإضافة إلى (٣٠٠) مقاتل من اليرلية[٤٠] الذين طلب منهم سليمان الانضمام إليه، فقد طلب من رؤساء اليرلية استخدام ما تبقى من قواتهم الموجودة في حوران لتأكيد حمايتهم، كما طلب

(٣٩) رافق: بلاد الشام ومصر، ص٣٤٤ -٣٤٥.

(٤٠) اليرلية: تطلق على الفرق الانكشارية التي انغمس منتسبوها في المصالح المحلية في كل من دمشق وحلب، حيث انضم السكان المحليون لهذه الفرق؛ فأصبحت تعرف بالانكشارية اليرلية، أي المحلية. انظر؛ رافق: بحوث في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي لبلاد الشام، ص١٣٣؛ عيسى سليمان أبو سليم: الأصناف والطوائف الحرفية في مدينة دمشق خلال النصف الأول من القرن الثامن عشر، دار الفكر، عمان ٢٠٠٠م، ص١٢٦، ١٢٧.

من سكان كل قرية حول مدينة دمشق باختيار عشرة أشخاص من سكانها، من أجل المراقبة والحراسة مع قوات اليرلية(٤١).

لقد كانت الحملة الثانية ضد ظاهر العمر تختلف عن سابقتها في كل من الهدف والأسلوب، حيث صدر فرمان من الباب العالي بأن يخرج مع سليمان باشا كل من: والي صيدا إبراهيم باشا العظم، ووالي طرابلس والقدس، وكذلك حكام غزة، والرملة، وإربد، ومن جبل الدروز (العرب) ٢٠ ألفًا. وسار بتلك القوات نحو طبريا ثم إلى حصن دير حنّا، وكان بها سعد بن ظاهر، وهو نفسه الذي قتل سليمان باشا؛ إذ لجأ سعد إلى سليمان باشا متظاهرًا بأنه خرج على أبيه؛ فتربص بسليمان حتى واتته فرصة ملائمة، فدس السم له(٤٢).

كانت الحملة الثانية ضد ظاهر العمر تختلف عن سابقتها في الهدف والأسلوب

وعلى الرغم من هذا الرأي، إلا أن السبب الرئيس لموت سليمان باشا لم يعرف، حيث مات في قرية لوبية قرب طبريا في (٤ رجب ١١٥٦هـ/ ٢٥ آب[أغسطس] ١٧٤٣م)، وجاء الخبر لدمشق، ثم أدخل بتخته سرايا الحكم، ثم دفن في باب الصغير في القبر الذي دفن فيه ولده إبراهيم بوصية منه(٤٣).

---

(41) Rafeq: The Province of Damascus, p. 159.

(٤٢) المرجع نفسه، ص١٥٩-١٦٠؛ البديري: حوادث دمشق اليومية، ص٤٣-٤٤ هامش (٢).

(٤٣) البديري: حوادث دمشق اليومية، ص٤٥، هامش (٣). الصباغ: الروض الزاهر، ص٣٦؛

Rafeq: TheProvince of Damascus, p.160.

أثبتت الأحداث في دمشق، التي تلت موت سليمان باشا، ضعف سياسته القائمة على الاسترضاء، وبأنها سياسة غير مدروسة، والدليل على صحة ذلك الصعوبات التي واجهها خلفه في الحكم ابن أخيه أسعد باشا العظم، وخاصة مسألة ثورة قوات اليرلية واستيلاء فتحي الدفتري على ممتلكات سليمان باشا، حيث عذّب أسرته على أبشع وجه؛ فأظهر عداوته القوية لسليمان باشا، وتعطشه للقيادة والسيطرة السياسية. ولكن ذلك انتهى بتعيين أسعد باشا واليًا على دمشق(٤٤).

**سليمان باشا وقافلة الحج الشامي:**

كانت قافلة الحج الشامي تمثل مصدر رزق لولاة دمشق؛ فالوالي سليمان باشا كان يجلب ما يحتاجه وأسرته من بضائع وحاجات مع القافلة، حيث اشترى في (صفر ١١٥٠هـ/ أيار[ مايو] ١٧٣٧م) من مدينة جدة بضاعة بقيمة (١٩,٤٥٥) درهمًا؛ إذ اشتملت هذه البضاعة على ثلاث فردات محزومة وثلاث "سحارات"، وقد سلّم المبلغ المدفوع عن البضاعة إلى يد مصطفى الحلبي(٤٥).

وكانت القافلة تكلف الخزينة مبالغ عالية، حيث بلغت قيمتها عام (١١٥٠هـ/ ١٧٣٧-١٧٣٨م) ما مجموعه

---

(٤٤) المرجع نفسه؛ كرد: خطط الشام، ص٢٩١.

(٤٥) وثائق طوب قبو سراي - إستانبول، ملف "سليمان باشا العظم"، صورة مودعة في مركز الوثائق والمخطوطات - الجامعة الأردنية، وثيقة رقم (٣٧٥٠أ) ص٥٢-٥٣.

(١٩١, ٠٠٠) ليرة عثمانية[٤٦]، (١٢٦, ٠٠٠) ليرة في ذهابها، بينما (٤٢, ٠٠٠) ليرة في العودة، وتم خزن ما قيمته (٢٣, ٠٠٠) ليرة، بالإضافة إلى بعض الديون التي استلفها بعض شيوخ المنطقة التي بلغت (٢٠٩, ٠٠٠) ليرة[٤٧].

ونظرًا لأهمية القافلة، فقد حرص والي دمشق سليمان باشا على تأمين سلامة الحجاج، حيث كان يتم اتخاذ الاحتياطات اللازمة كافة؛ فعندما حج سليمان باشا بالقافلة في عام (١١٥١هـ/١٧٣٨-١٧٣٩م)، زوّد جميع القلاع في طريق الحج بالمؤن والذخائر لتحقيق الغاية السابقة، ويعطينا الجدول التالي[٤٨] مؤشرات على هذا الاهتمام، حيث يوضح مقدار المؤن في كل قلعة، ونوع المحاصيل التي يتم تزويد القلاع بها، بالإضافة إلى أسماء الأشخاص المكلفين بحفظ هذه المؤن.

(٤٦) ليرة عثمانية: وحدة العملة في الدولة العثمانية، وسميت بالمجيدي لاحقا في عهد السلطان عبدالمجيد في النصف الأول من القرن التاسع عشر، وتسمى أيضا إيزليك، وهي عملة ذهبية مقسمة إلى مئة قرش، وتزن (٣٧, ١١١) حبة. الموسوعة العربية الميسرة، م(٤) دار الجيل، القاهرة، ط٢، ٢٠٠١م، ص٢١٢٦.

(٤٧) ملف "سليمان باشا العظم"، المصدر السابق، ص٤٩.

(٤٨) المصدر نفسه، ص٢٩- ٤٦.

## جدول رقم (١)

| | نوع المحصول | مقدار المحصول وقيمته | اسم الشخص المكلف بالحفظ |
|---|---|---|---|
| قلعة معان | - شعير خالٍ من التبن والتراب.<br>- أرز. | - (١٥٧,٥) حملاً = (٧٨٧٠,٥) مدا بالكيل الشامي.<br>- (١٣) قنطاراً و(٨) أرطال. | - دزدار القلعة الشيخ حسين. |
| قلعة القطرانة | - شعير خالٍ من التبن والتراب. | - (٨٠) حملاً = (٤٠٠٠) مداً وبلغ ثمنها (٣٥٠) قرشاً أسدياً. | - أودباشي القلعة محمد باشا الكردي. |
| قلعة جغيمان "المدورة" | - شعير خالٍ من التبن والتراب. | - (٣٠) حملاً = (١٥٠٠) مد. وبلغ ثمنها (٢٢٠) قرشاً أسدياً.<br>- (٣٤) حملاً محفوظة في مخزن القلعة. | - أودباشي القلعة قاسم الجنادي. |
| قلعة تبوك | - شعير خالٍ من التبن والتراب. | - (١٦) حملاً × (١٠) قروش= (١٦٠) قرشاً أسدياً.<br>- (١٣) حملاً محفوظة في مخزن القلعة. | - أودباشي القلعة محمد باشا. |

الدارة
مجلة فصلية محكمة تصدر عن دارة الملك عبدالعزيز
العدد الأول المحرم ١٤٢٩هـ، السنة الرابعة والثلاثون

## تابع جدول رقم (١)

| | نوع المحصول | مقدار المحصول وقيمته | اسم الشخص المكلف بالحفظ |
|---|---|---|---|
| قلعة ذات حج | - شعير. | - (٢٥) حملاً ثمنها (٢٠٠) قرش أسدي. | - أودباشي القلعة حسن بن مراد باشا. |
| قلعة الأخيضر | - شعير خالٍ من التبن والتراب. | - (١٩) حملاً ثمنها (٢١٤) قرشاً أسدياً.<br>- (١٠) أحمال في ذمة حسين باشا. | - أودباشي القلعة حسين باشا. |
| قلعة العلا | - شعير. | - (٥٨) حملاً.<br>- (١٩) حملاً في ذمة هرماس المعاذي. | - هرماس المعاذي. |
| قلعة هدية | - شعير خالٍ من التبن والتراب. | - (١٠) أحمال بلغ ثمنها (١٦٠) قرشاً أسدياً. | - أودباشي القلعة قرأ أحمد ومعه كل من: مصطفى بن حسن، وأحمد بن يوسف الأنطاكي، وعمر بن أحمد، وعبدالوهاب بن الشيخ أحمد. |

## تابع جدول رقم (١)

| | نوع المحصول | مقدار المحصول وقيمته | اسم الشخص المكلف بالحفظ |
|---|---|---|---|
| قلعة المعظم | - شعير.<br>- معبوك.<br>- فول. | - (٨٢) حملاً = (٤١٠٠) مد.<br>- (٦) أحمال = (٢٧٠) مداً.<br>- (٨) أحمال = (٣٢٠) مداً. | - أودباشي القلعة هرموش. |
| قلعة القطرانة | - معبوك.<br>- شعير.<br>- بكسماد.<br>- أرز. | - (٢٣) حملاً.<br>- (١٢٠) حملاً.<br>- (٤) أحمال.<br>- (٤) أحمال =(٤) قناطير وخمسون رطلاً. | - أودباشي القلعة محمد. |

وكان بعض شيوخ القبائل البدوية في منطقة جنوبي سورية (شرقي الأردن)، يلتزمون بنقل مؤن القافلة إلى منازل الحج، في عهد الوالي سليمان باشا؛ ومن هؤلاء الشيخ حمد السويدان الذي نقل (٤٠) حملاً من الشعير الخالي من التبن والتراب إلى عدة منازل، هي: منزل عنيزة حيث نقل إليها (١٠) أحمال، وقلعة جغيمان (١٥) حملاً، وقلعة ذات حج (١٥) حملاً أيضًا، وقبض حمد السويدان مقابل ذلك (٣٤٥) قرشًا أسديًا[٤٩]، وكان ذلك في أواخر شهر (محرم ١١٥١هـ/ نيسان[أبريل] ١٧٣٨م)[٥٠].

ولم تقتصر مهمة نقل مؤن القافلة على شيوخ القبائل البدوية، بل إن بعض شيوخ الطوائف في المدن الشامية كانوا يقومون بهذا الدور؛ فشيخ الأكراد في مدينة الخليل عبدالقادر الأسيوطي، تكفّل في بداية عام (محرم١١٥١هـ/ ١٧٣٨م)، بنقل (١٥٠) حملاً من الشعير والكرسنة المجروشة إلى منزل معان، مقابل (٩٧٥) قرشًا أسديًا، قبض منها (٣٧٥) قرشًا أسديًا، وبقي (٦٠٠) قرش أسدي تقرر أن يتسلمها في مدينة القدس في العام نفسه[٥١].

كما شارك بعض الأشخاص من مدينة دمشق بنقل أحمال القافلة إلى المدينة المنورة، بأمر من الوالي سليمان باشا؛ إذ

---

(٤٩) القرش الأسدي: الاسم الذي أُطلق على العملة (النقد) الفلمنكية التي رسمت على وجهها صورة أسد، واستخدمت عند العثمانيين، وأطلق عليها (أرسلاني) بمعنى الأسدي أيضًا. انظر:

Pakalin:Othmanli ,Tarih deyimleri Ve Terimleri sozlugu,Istanbul, 1971, vol.1,p.551.

(٥٠) ملف "سليمان باشا العظم"، المصدر السابق، ص ٤٩.

(٥١) المصدر نفسه، ص٣٦.

أقر جماعة من طائفة الجمالين بدمشق في (١٧ صفر ١١٥١هـ /٩ حزيران [يونيو] ١٧٣٨م)، على نقل ما يلزم سليمان باشا من المزيريب إلى المدينة المنورة، ومن أبرز هؤلاء: إسماعيل بن حسن زعيتر، وحسن بن حسين جوربجي، وأحمد بن السيد عبدالله الخورده جي، ومحمد بن محمد القواف، وإبراهيم بن خليل، وعلي بشر بن مصطفى، وعرفة بن ذو الفقار، وأحمد بن السيد حسين، ومحمد علي بن عبدالوهاب، وعبدالقادر بن إبراهيم العطار، قبضوا مقابل ذلك (٢٣٠٠) قرش، وهذا المبلغ أجرة (١٠٠) جمل، نقل عليها أحمال سليمان باشا(٥٢).

لقد كان سليمان باشا حريصًا على تزويد القافلة بالمؤن الكافية، لسد حاجة الحجاج، خلال موسم الحج؛ لذلك تنوعت هذه المؤن وتعددت، وأبرز أنواع المواد التي كانت ترافق القافلة؛ الشعير، وطحين الشعير، والكرسنة، والفول، والمعبوك(٥٣)، والقطران، والفحم، والرز، والبرغل(٥٤)، والملح، والحمص، والبكسمط (البسكماد)(٥٥)، والبارود،

(٥٢) المصدر نفسه، (د. ر) ص٧٢.

(٥٣) المعبوك: خليط من بقايا الطحين وبعض الحبوب يقدم علفا للإبل. أبو سليم: الأصناف والطوائف الحرفية في مدينة دمشق، ص٤٥٥.

(٥٤) البرغل: كلمة محرفة من الكلمة العثمانية بورغول، تعني الحنطة المسلوقة والمجروشة. أبو سليم: الأصناف والطوائف الحرفية في مدينة دمشق، ص٤٣٥.

(٥٥) البكسماد: تلفظ البقسمط أو البقسماط، كلمة عثمانية تعني الخبز المحمص أو المخبوز مرتين، وهي تشير إلى الكعك من طحين الحنطة على هيئة ألواح الصابون. أبو سليم: الأصناف والطوائف الحرفية في مدينة دمشق، ص٤٣٥.

والحرير، والعدس، والحبال، والصاجات، والدبابي الفارغة، والمسامير(٥٦).

وكان لسليمان باشا علاقات قوية مع شيوخ ووجهاء منطقة جنوبي سورية (شرقي الأردن)؛ إذ كان حريصًا على ضمان ولائهم له للمحافظة على سلامة القافلة، خلال مرورها في مناطقهم، ومما يدل على متانة هذه العلاقة، أن الوالي سليمان باشا كان يبيع الذخائر لبعض هؤلاء، كما حصل في (صفر ١١٥١هـ/ أيار[ مايو] ١٧٣٨م)؛ إذ حضر إلى دمشق كل من: الشيخ حمد بن حتمل، وقشعم بن فياض، وحسن بن عسكر، وجميعهم من سكان قرية الطرة(٥٧)، حيث تسلموا بعض الذخائر، والتزموا بدفع (٥٨٣) قرشا أسديا للوالي، خلال أربعة أشهر(٥٨)، ويبدو أن للوالي موارد مالية مختلفة، كانت تأتيه من شيوخ المنطقة وزعمائها، لقاء شرائهم البضائع والذخائر.

وكان للقبائل البدوية اهتمام كبير لدى الوالي سليمان باشا، حيث كان يخصص لها مبالغ عالية عرفت بالصّرة "الصرّ"، بلغ مجموعها عام (١١٥٤هـ/ ١٧٤١-١٧٤٢م) بموجب دفتر مفردات عثماني، (٩٨٦٤١) قرشًا، حيث بلغ نصيب عرب حرب لوحدهم (٤١٥٠) قرشًا، بينما باقي الأموال كانت توزع بين القبائل البدوية الأخرى، ذات النفوذ

---

(٥٦) ملف "سليمان باشا العظم" المصدر السابق، وثيقة رقم (١٠٥٨)، بتاريخ ٢٥ ربيع الثاني ١١٥١هـ، ص٨٨.

(٥٧) الطرة: بلدة تقع في شمال الأردن في لواء الرمثا، وهي قريبة من الحدود الأردنية - السورية، تشتهر بالزراعة.

(٥٨) ملف "سليمان باشا العظم"، وثيقة رقم (٣٧٥٠أ)، ص٣٠.

القوي، القاطنة بالقرب من طريق الحج. وكانت هناك إنعامات يوزعها سليمان باشا على شيوخ هذه القبائل، كشيوخ قبيلة حرب، الذين بلغت إنعاماتهم في العام نفسه حوالي (٣٧٩٢) قرشًا، علاوة على صرّة الخدم في بعض منازل الحج[٥٩].

وقد تكفلت بعض القبائل البدوية بنقل أحمال قافلة الحج الشامي بين منازل الحج، ففي عام (١١٥٤هـ ١٧٤١/١٧٤٢م)، أشارت وثيقة عثمانية إلى أن البدو نقلوا ما مجموعه (٧٦٢) مدًا من الشعير والمعبوك من معان إلى المدينة المنورة، كما هو مبيّن في الجدول التالي[٦٠].

**جدول رقم (٢)**

| الرقم | اسم المنزل المنقول منه | اسم المنزل المنقول إليه | عدد الأحمال | مقدار الأمداد | نوع الأحمال |
|---|---|---|---|---|---|
| ١ | معان | جغيمان | ١٠ | ٢٠ | شعير |
| ٢ | معان | ذات حج | ٢٨ | ٨٤ | شعير |
| ٣ | ذات حج | القاع | ٢٨ | ٢٨ | شعير |
| ٤ | تبوك | المغاير | ٢٨ | ٢٨ | شعير |
| ٥ | قلعة المعظم | العلا | ٣٤ | ١٠٢ | شعير |
| ٦ | العلا | المدينة المنورة | ١٠٠ | ٥٠٠ | معبوك مع حلبيين وشاميين |
| المجموع | | | ٢٢٨ حملاً | ٧٦٢ مدًا | |

(٥٩) المصدر نفسه، ص١٠٨.

(٦٠) المصدر نفسه، ص٣٠.

وبلغ مقدار ما نقل من القطرانة إلى جغيمان وذات حج في العام نفسه (١٠٥٠) مدًا من الشعير والمعبوك، بينما بلغ ما نقل إلى المعظم والعلا (٧٤٠) حملاً. وكانت حصيلة المنقول إلى القلاع في طريق الحج (٢١٠٢) مدًا[٦١].

ويبدو أن الوالي سليمان باشا أدرك أهمية استرضاء القبائل البدوية، القاطنة بالقرب من طريق الحج، كبني صخر والحجايا، والاستفادة من خدماتها، حيث أسند إليها سليمان باشا مهمة نقل بعض الأحمال، وخاصة الشعير، إلى بعض منازل الحج، فبنو صخر نقلوا في عام (١١٥٤هـ/١٧٤١-١٧٤٢م) ما يقارب من (١٤٦٢) مدًا إلى أربع قلاع، هي: الأخيضر، وتبوك، وذات حج، وجغيمان، أما الحجايا فقد كلفوا بنقل (٥٣٠٩) أمداد للقلاع نفسها[٦٢].

ويظهر أن اهتمام سليمان باشا بهذه القبائل، كان جزءًا من سياسته الناجحة، التي حظيت بها ولاية دمشق في النصف الأول من القرن الثامن عشر، حيث قللت إجراءاته السابقة من اعتداءات القبائل على القافلة، لذلك فقد شهدت فترة ولايته لدمشق واهتمامه بشؤون القافلة، هدوءًا واستقرارًا في طريق الحج، لم تشهده الفترات اللاحقة في عهد خلفائه، خاصة بعد عزل ابن أخيه أسعد باشا العظم، وهجوم قبيلة

(٦١) المصدر نفسه، ص١١٠.

(٦٢) دفتر مفصل أحمال بني صخر والحجايا المرسلة معهم للدورة إلى القلاع في سنة ١١٥٤م، وثيقة رقم (٣٧٥٠أ) ص١٣٤-١٣٦؛ البديري الحلاق: حوادث دمشق اليومية، ص٣٠-٣١.

بني صخر المشهور في عام (١١٧١هـ/ ١٧٥٧م) ضد القافلة[٦٣].

وتؤكد لنا الوثائق العثمانية، أن سليمان باشا كان مهتمًا بتأمين نقل الحجاج؛ فكان يأمر بدفع مبالغ على شكل "إنعامات" لأصحاب الجمال، وصرف علائف للجمال المستخدمة في نقل الحجاج؛ ففي عام (١١٥٤هـ / ١٧٤١-١٧٤٢م) صرف لأحد أصحاب الجمال المدعو يوسف سريان (١٧٠٠) مد من الشعير. كما كان يتم تقديم مبالغ للعكامة[٦٤] والسقاية (الذين يزودون الحجاج بما يحتاجونه من الماء) والمشعلجية[٦٥]؛

(٦٣) للإطلاع على أسباب هذه الحادثة ونتائجها، انظر؛ عمر بن محمد بن إبراهيم الوكيل: ترويح القلب الشجي في مآثر عبدالله باشا الجته جي، دراسة وتحقيق: نوفان السوارية ومحمد سالم الطراونة، دار رند، الكرك، ٢٠٠٠م.

(٦٤) العكامة: اسم يطلق على الذين يقومون على خدمة الإبل (الجمال)، ويتصف هؤلاء بالجلد والقوة على المشي في القفار والأوعار، ويستخدمون بأجرة معلومة عند سفر الحجاج، حيث يسحبون الجمال (الإبل) في الطريق وعليها الحجاج، ويتولون خدمة الراكبين وكل ما يلزمهم من طبخ وغيره أثناء سفرهم، ولهؤلاء العكامة أجرة معلومة. وكان للعكامين في القافلة زعيم يسمى (باش عكّام) انظر: جمال الدين القاسمي وخليل العظم: قاموس الصناعات الشامية، ج٢، معهد الدراسات العربية العليا، باريس١٩٢٨م، ص٣١٨-٣١٩؛ رحلة سويلة مز أغلي إلى بلاد الشام، دراسة وترجمة وتحقيق: فاضل مهدي بيات، منشورات جامعة آل البيت،٢٠٠٠م، ص١٤٣-١٤٤.

(٦٥) المشعلجية: طائفة من بوابي القصر السلطاني، يتراوح عددهم بين (١٠ - ١٨) فردا، ويسمون بـ "أورطة قابي مشعلجي لري" بمعنى من ينيرون ويشعلون المشاعل في الباب الأوسط للقصر السلطاني، ومهمتهم إشعال المشاعل في ليالي العيد والمناسبات الرسمية، كما يحملون المشاعل للسلطان في حالة خروجه للتنزه. ويعلون المشاعل حول خيمة السلطان إذا خرج محاربا. ويتسلمون في كل سنة مشعلا من حديد، وجعبة من جلد، ومادة نباتية زيتية للاحتراق. انظر؛ المصري: معجم الدولة العثمانية، ص ١٣٢.

الذين كانوا يقومون على خدمة الحجاج في مكة المكرمة(٦٦).

وبلغ من اهتمام سليمان باشا بالقافلة، إلى حد أنه كان يقوم بشراء الجمال لتسيير القافلة؛ ففي (٥ شعبان ١١٥٤هـ/ ١٧ تشرين الأول [أكتوبر] ١٧٤١م)، أمر بشراء عدد من الجمال، من (٦٠) شخصًا وصل ثمنها إلى (٣٤٧٣) قرشا أسديا(٦٧). وكان أحيانًا يأمر بدفع العلف للجمال المستأجرة، وبدفع بعض الأموال على شكل "بخشيش" لبعض الأشخاص المتنفذين في طريق الحج، بلغ مجموع هذه الأموال عام (١١٥٤هـ/ ١٧٤١-١٧٤٢م) (٢٨٢٠) قرشًا أسديًا، كانت من نصيب شخصين، هما: داود خنام ومحمد آغا ديري(٦٨).

وكان المسؤولون العثمانيون في دمشق يستعينون ببعض الأشخاص لنقل أحمال الشعير والمعبوك خلال موسم الحج، وخاصة من القطرانة ومعان إلى كل من: جغيمان، وذات حج، والمعظم، والعلا، لقاء مبالغ مالية كانت تدفع لهم؛ فمثلاً قام حاكم قلعة القطرانة بنقل (٩٩٠) مدا من المعبوك إلى جغيمان وذات حج. كما نقل خليل بن هرماس (٧٤٠) مدًا من شعير من القطرانة إلى قلعتي المعظم والعلا(٦٩).

(٦٦) ملف "سليمان باشا العظم"، وثيقة رقم (٣٧٥٠أ) ص١٠٨، ووثيقة رقم (١٠٥٨) ص٨١.

(٦٧) المصدر نفسه، وثيقة رقم (١٠٥٨) بتاريخ ٥ شعبان ١١٥٤هـ، ص٨٢.

(٦٨) "سليمان باشا العظم"، وثيقة رقم (٣٧٥٠أ) ص١٠٨، ووثيقة رقم (١٠٥٨)، ص٨١.

(٦٩) المصدر نفسه، وثيقة رقم (٣٧٥٠أ)، ص١١٠.

وفي وثيقة عثمانية يرجع تاريخها إلى (٢٣ شوال ١١٥٤هـ/ ٥ تشرين الثاني[ نوفمبر] ١٧٤١م) تبيّن لنا أن بعض الأشخاص من حلب قاموا بنقل الأحمال، حيث قبض كل من: عبود بن رستم، وعلي بن بدور، وطه الأطرش، مبلغ قدر بـ (٢٣٠٠) قرش أسدي، لنقل (١٠٠) حمل من الذخائر، من منزل المزيريب إلى المدينة المنورة، وكان المبلغ المقبوض من مخصصات قافلة الحج من خزينة دمشق(٧٠).

وكان تأمين الماء للحجاج، خلال موسم الحج، من أبرز الأولويات التي كان الوالي سليمان باشا يوليها اهتمامه، حيث كان يصرف على ذلك مبالغ عالية، وصلت في عام (١١٥٤هـ/ ١٧٤١-١٧٤٢م) إلى (١١٧١) قرشا أسديا ذهابًا وإيابًا، ابتداءً من قلعة الزرقاء حتى مكة المكرمة، حيث تم تزويد كل منزل من منازل الحج بـ(أفازات) ماء للمحافظة على سلامة الحجاج، وللتزود بالماء عند كل منزل(٧١). وتشير وثيقة عثمانية يرجع تاريخها إلى شهر ذي القعدة من العام نفسه، أن مجموع المبالغ التي تم إنفاقها على منازل الحج من المزيريب حتى المدينة المنورة لتأمين المياه فقط، بلغت (٤٥٠٧) قروش أسدية. كما أن سليمان باشا أعطى متسلّم إربد(٧٢)

(٧٠) المصدر نفسه، وثيقة رقم (١٠٥٨) بتاريخ ٢٣ شوال عام ١١٥٤هـ، ص٩٣.

(٧١) المصدر نفسه، وثيقة رقم (٣٧٥٠أ) ص١١٢.

(٧٢) إربد: مدينة أردنية تقع في أقصى شمال الأردن على بعد (٨٠) كم تقريبا من العاصمة عمان، وهي مركز لمحافظة يحمل الاسم نفسه، تشتهر بالزراعة وسهولها الواسعة، وفيها جامعات عدة: اليرموك، والعلوم والتكنولوجيا، وإربد الأهلية، وجدارا.

مصطفى آغا مبلغًا قدره (٣٨٨٦) قرشًا أسديًا للغرض نفسه؛ وذلك في قلعة الزرقاء ضمن الجردة في ذلك العام[٧٣].

وكان الوالي سليمان باشا يركّز جلّ اهتمامه على تأمين الماء للحجاج، في شهر ذي الحجة من كل عام؛ إذ بلغ مجموع ما أنفقه في عام (١١٥٤هـ/ ١٧٤١-١٧٤٢م)، في هذا المجال على الحجاج في المدينة المنورة ومكة المكرمة حوالي (١١٢,٧٢٧) قرشًا أسديًا، مضافًا إليه الإنعامات للبدو وللزعماء في الأماكن المقدسة، وفي منازل الحج، مع الصدقات[٧٤]. وأتبع المبلغ السابق (٢٩٤) قرشًا أسديًا للغرض نفسه في شهر (محرم١١٥٥هـ/آذار[ مارس] ١٧٤٢م)[٧٥]، لتأمين الماء للحجاج خلال عودتهم إلى دمشق، بعد أداء فريضة الحج.

ويلاحظ مما سبق أن المبالغ التي كانت تصرف على قافلة الحج مرتفعة؛ إذ كان المسؤولون المرافقون للقافلة يضطرون في بعض الأحيان، إلى شراء الشعير؛ فمثلاً عندما وصلت القافلة المدينة المنورة في عام (١١٥٤هـ/ ١٧٤١-١٧٤٢م) تم شراء (٦٤٢) أردب[٧٦] شعير، وفي منطقة المضيق تم شراء

---

(٧٣) ملف "سليمان باشا العظم"، وثيقة رقم (٣٧٥٠أ) المصدر السابق، ص١١٣.

(٧٤) المصدر نفسه، ص١١٣ - ١١٥.

(٧٥) المصدر نفسه، ص١١٥.

(٧٦) الأردب: أحد أنواع المكاييل الذي كان مستخدما في الدولة العثمانية؛ إذ كان يساوي في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين (١٨٢) لترا، أو نحو (٧,١٣٣) كيلو غراما من القمح. انظر: بشارة دوماني: إعادة اكتشاف فلسطين - أهالي جبل نابلس ١٧٠٠- ١٩٠٠، ترجمة: منى زينة، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، ١٩٩٨م، ص٢٩٨.

(١١,٧٢٢) أردب شعير أيضًا[٧٧]، وهذا كله من أجل خدمة الحجاج، وتأمين سلامة القافلة حتى عودتها إلى دمشق.

وشملت نفقات القافلة الموظفين الذين كانوا يقيمون في القلاع على طريق الحج، حيث كانوا يتلقون أجورًا من والي دمشق، وصلت في عهد سليمان باشا، وبالذات في عام (١١٥٤هـ/١٧٤١-١٧٤٢م) إلى (٢٤٢,٩٣٤) قرشا أسديا، وكانت هذه المبالغ تأتي من خزينة الدولة المخصصة للإنفاق على القافلة وعلى الموظفين التابعين، سواء لولاية دمشق أو حتى لولاية الحجاز[٧٨].

وكان الوالي سليمان باشا يأمر أحيانًا بشراء بعض الذخائر ومادتي الشعير والمعبوك من جدة ومكة بوساطة بعض التجار؛ إذ يتم تسليمها إلى بعض الوكلاء، الذين ينقلونها بدورهم إلى دمشق مع القافلة، وهناك يتم تسليمها لسليمان باشا، حيث بلغت قيمتها في عام (١١٥٤هـ / ١٧٤١-١٧٤٢م) - كما تشير الوثائق العثمانية- (٤٦,٦٨٣) ليرة عثمانية[٧٩].

ويبدو أن مادة الشعير كانت أساسية في تموين القافلة، حيث كان سليمان باشا حريصًا على توفيرها في القلاع؛ إذ كان بعض القائمين على القلاع في طريق الحج، يتكفلون باستلام الشعير والمحافظة عليه لحين موسم الحج، لتزويد القافلة به؛ ففي منتصف (محرم ١١٥٥هـ/ آذار[مارس]

(٧٧) ملف "سليمان باشا العظم"، وثيقة رقم (٣٧٥٠أ) المصدر السابق، ص١٢٠.

(٧٨) المصدر نفسه، ص١٢١.

(٧٩) المصدر نفسه، ص١٠٩.

١٧٤٢م) تكفل أودباشي قلعة المعظم محمد بن البيطار باستلام خمسة عشر حمل شعير خال من التبن والتراب، أي ما يعادل (٧٥٠) مدًا شاميًا، ويحفظها في القلعة ليسلمها للحجاج عند مرورهم بالقلعة لأداء فريضة الحج[٨٠].

ومن شدة حرص سليمان باشا على تأمين المؤن في القلاع، كان في بعض الأوقات يأمر المتسلمين في ولايته بتزويد هذه القلاع بالمؤن أو دفع بعض المبالغ؛ إذ بعث في بداية عام (١١٥٥هـ/ ١٧٤٢م) إلى متسلم سنجق[٨١] غزة محمد آغا، يطلب منه دفع (١١٠٠) قرش أسدي عن كرى (١٠٠) حمل شعير، من الأحمال التي كانت ترسل من منطقة الرملة وغزة إلى قلعة المعظم[٨٢]. وفي رمضان من العام نفسه، طلب أيضًا سليمان باشا من متسلم غزة أن يدفع لأودباشي قلعة القطرانة علي بن مرعي، مبلغ وقدره (٢٥٠) قرشًا[٨٣].

---

(٨٠) المصدر نفسه، وثيقة رقم (١٠٤٢٦) ص ١٠٦.

(٨١) سنجق: علم كبير كان يصنع من قماش حريري ذي ألوان مختلفة، كان الأتراك يرفعونه في وسط آسيا رمزا لبسالة أحد الأبطال. وأصبح لون العلم في عهد السلطان سليم الثالث أحمرا، وظهر فيه هلال وثلاث نجوم. وفي عهد السلطان محمود أبدل الانكشارية اسم العلم من بايراق إلى سنجاق (سنجق) وهو تشكيل إداري في الدولة العثمانية يشبه اللواء (المتصرفية) في وقتنا الحاضر. المصري: معجم الدولة العثمانية، ص٧٥.

(٨٢) ملف "سليمان باشا العظم"، المصدر السابق، وثيقة رقم (١٠٥٨)، ص١٠٠.

(٨٣) المصدر نفسه، وثيقة رقم (١١١٤٧) ص١٠٧.

ويتضح اهتمام سليمان باشا بالقافلة والحجاج من خلال عدد الأحمال التي كان يأمر بنقلها إلى بعض القلاع في طريق الحج، حيث تشير وثيقة عثمانية يرجع تاريخها إلى (٢ رمضان ١١٥٥هـ/ ١ تشرين الثاني[نوفمبر] ١٧٤٢م)، إلى أن سليمان باشا أمر بنقل (٣,٠٠٠) مد شعير، والجدول التالي(٨٤) يوضح لنا ذلك.

**جدول رقم (٣)**

| الرقم | اسم الشخص المكلف بنقل الأحمال | اسم القلعة المنقول إليها الأحمال | مقدار الأحمال بالأمداد | اسم الكفيل |
|---|---|---|---|---|
| ١ | برجس الرشود | الأخيضر | ٥٠٠ | مجهول |
| ٢ | نصر بن علية | الأخيضر | ٢٥٠ | برجس الرشود |
| ٣ | حمد أبو عليان | الأخيضر | ٢٥٠ | برجس الرشود |
| ٤ | محسن السليمان وعيد بن عطية | المعظم | ١١٠٠ | برجس الرشود |
| ٥ | سلامة السريدان | معان | ٥٠٠ | مجهول |
| ٦ | مجهول | معان | ٤٠٠ | مجهول |
| | المجموع | | ٣٠٠٠ | |

وبقيت علاقة سليمان باشا بالقبائل البدوية الشامية والحجازية قوية، وخاصة تلك المسيطرة على طريق الحج؛ كعنزة التي تكفلت في شهر (جمادى الأول ١١٥٥هـ/

(٨٤) المصدر نفسه، وثيقة رقم (١٠٥٨) ص٧٥.

تموز[يوليو] ١٧٤٢م)، بنقل (٤٠٠) حمل إلى قلعتي أبيار الغنم وهدية بمعرفة شيخ الشام المدعو (واكد) وفاضل المزيد، حيث تبيّن لنا من خلال دفتر الحملة المرسلة مع عنزة إلى هاتين القلعتين (أبيار الغنم وهدية) أن اثني عشر شخصًا من قبيلة عنزة قد نقلوا الأحمال السابقة، وفي الوقت نفسه تكفل ستة أشخاص من عنزة بنقل (١٠٠) حمل شعير إلى قلعة هدية[٨٥]. وهذا كله بهدف خدمة الحجاج، الذي كان الوالي سليمان باشا حريصًا على سلامتهم ذهابًا وإيابًا.

وساهم وجهاء منطقة جنوبي سورية ( شرقي الأردن ) في تسيير القافلة؛ فشيخ بني جهمة علي البطين قدّم عشرة جمال في (شوال ١١٥٥هـ/ كانون الأول[ديسمبر] ١٧٤٢م) لجردة ذلك العام، لنقل الذخائر من دمشق إلى هدية ذهابًا وإيابًا مقابل أجرة بلغ مقدارها (٤٠٠) قرش أسدي، دفعتها له السلطات العثمانية في دمشق[٨٦].

وكان سليمان باشا حريصًا على تزويد كل منزل في طريق الحج بالمؤن كالتبن والحشيش، وغيرها من الذخائر؛ إذ بلغت أحمال قافلة الحج في عام (١١٥٥هـ/ ١٧٤٢-١٧٤٣م) من القطرانة حتى مكة ذهابًا (٢٥٢٥) مدًا من الشعير والتبن والحشيش، بينما وصلت إلى (٨٥٠) مدًا في العودة من مكة حتى الزرقاء[٨٧].

(٨٥) المصدر نفسه، ص١٠٠.

(٨٦) المصدر نفسه، ص ٩٤-٩٥.

(٨٧) المصدر نفسه، ص١١١.

وبقي وجهاء منطقة جنوبي سورية (شرقي الأردن) على علاقة حسنة بالوالي سليمان باشا؛ إذ يرد في إحدى الوثائق العثمانية في دفتر أجرة جمال الحج والجردة في عام (١١٥٦هـ/١٧٤٣م) أن أهل إربد قد ساهموا في إعداد جردة ذلك العام؛ إذ قام مصطفى العلي من قرية الحصن في ناحية إربد بنقل (٣٢٠) مدًا بوساطة ثمانية جمال[٨٨]، لاستقبال الحجاج عند عودتهم من الديار المقدسة.

وعندما كانت قافلة الحج تتعرض لخطر ما، كان والي دمشق في طليعة مَنْ يتحرك لإنقاذها؛ ففي بداية شهر (صفر ١١٥٦هـ/ كانون الثاني[يناير] ١٧٤٣م) جاءت أخبار عن قافلة الحج بأن نصف الحجاج قد غرقوا في الحسا بالقرب من القطرانة؛ فتحرك سليمان باشا لإنقاذ الحجاج والأحمال من البدو، وأعادها للحجاج وأمّن الحماية لهم. وفي البلقاء جاء سيل فهلك عدد من الحجاج؛ فكتب سليمان باشا كتابا إلى دمشق ومن حولها، بأن يأتوه بعلف وذخيرة[٨٩]. هذه الأعمال وغيرها جلبت لسليمان باشا احترام الناس وتعزيز ثقتهم به.

ويظهر أن أمير قافلة الحج سليمان باشا، كان يتوسط بهدف الصلح عند نشوب خلافات بين أشراف مكة؛ ففي عام (١١٥١هـ / ١٧٣٨م) توسط سليمان باشا بين الشريف محمد وعمه الشريف مسعود في مكة "بالصلح حتى أصلح بينهما

(٨٨) المصدر نفسه، ص٧١.

(٨٩) البديري: حوادث دمشق اليومية، ص ٣٦-٣٧؛

Rafeq: The Province of Damascus, p.147.

على شروط، وأخذ من كل منهما وثائق وعهودًا"، حيث كان الشريف محمد يطمح بالشرافة بدعم ومؤازرة من قبيلة حرب[٩٠].

**الخلاصة:**

أثبتت الدراسة أن سليمان باشا العظم خلال توليه ولاية دمشق (١١٤٦-١١٥١ / ١١٥٤- ١١٥٦هـ / ١٧٣٤ - ١٧٣٨/ ١٧٤١- ١٧٤٣م) حاول أن يثبت للحكومة العثمانية ولاءه وإخلاصه، حتى يحافظ على هذا المركز، فهو الذي تولى أكثر من ولاية غير دمشق؛ كولاية طرابلس، وولاية أورفا (الرها)، وولاية صيدا، وولاية مصر، وبقي المسؤولون العثمانيون حريصين على التمسك به حتى وفاته في عام (١١٥٦هـ/ ١٧٤٣م) وهذا لم يأت من فراغ، بل جاء نتيجة للميزات التي تميز بها سليمان باشا وخاصة قوته وحزمه، وتنفيذ سياسة الدولة العثمانية في ولاياتها المتعددة، والذي يثبت ذلك أن المسؤولين العثمانيين اعتمدوا عليه كثيرًا في إخماد حركات التمرد والثورات التي كانت تحدث كثورتي: طرابلس وظاهر العمر.

كما تبيّن لنا أن سليمان باشا قد انتهج سياسة اللين والتهدئة في ولاية دمشق، عندما كان يتطلب الأمر ذلك، وهذا واضح من خلال استرضاء أهالي دمشق؛ وذلك بإقامة العدل وإعادة حقوق الدمشقيين لهم، والقبض على المعتدين،

(٩٠) أحمد بن زيني دحلان: أمراء البلد الحرام - الدار المتحدة ١٩٨١م، ص٢٤٠.

خاصة فيما يتعلق بحياة الناس اليومية. ولكنه في الوقت نفسه كان يستخدم سياسة الحزم والقوة، عندما تكون هناك ضرورة؛ فاستخدم أسلوب العقاب كمصادرة الأملاك مثلا، وإزالة بعض الامتيازات عن المخالفين للقانون، لدرجة أنه كان يلجأ إلى استخدام القوة في القضاء على الأخطار التي تهدد أمن ولايته.

وخلصت الدراسة إلى أن سليمان باشا كان رجلا اقتصاديا، وثريًا في الوقت نفسه؛ فقد حاول أن يستفيد من عمله كوالي، خاصة عندما تولى دمشق، حيث ترك أموالا وممتلكات كثيرة، تم حجزها من قبل السلطات العثمانية في إستانبول بعد وفاته؛ إذ تم العثور على ثروات طائلة في مقر ولايته، بعضها أموال عقارية والبعض الآخر على شكل أوقاف، التي بقيت كإرث عائلي لأبنائه. وبالمجمل فإن ما تركه سليمان باشا من أموال منقولة وغير منقولة ومن خلال عمليات تجارية عديدة، غيّر من واقع دمشق الحضري، والذي يدل على ذلك قيام سليمان باشا بإنجاز عمليات بناء هندسية، ومشاريع مختلفة، مثل إصلاح نهر بردى، الذي يدل على اهتمام سليمان باشا بتوفير المياه في أحياء مدينة دمشق المختلفة.

وتعطينا الوثائق العثمانية "ملف سليمان باشا العظم"، معلومات تدل على تطور فكر سليمان باشا الإداري، خاصة فيما يتعلق بتأمين قافلة الحج الشامي من دمشق إلى الديار المقدسة (مكة والمدينة المنورة) والعودة بها بسلام إلى دمشق،

حيث تبرز لنا هذه الوثائق مدى العناية والاهتمام، الذي بذله سليمان باشا في مجال حماية القافلة من الأخطار، وتزويد القلاع بالمؤن والذخائر؛ بالإضافة إلى الاستفادة من خدمات زعماء القبائل ووجهاء بعض المدن والقرى، الذين كانوا يحمون القافلة، ويقومون بنقل ما يحتاجه الحجاج عبر منازل الحج. والوثائق التي استخدمتها، هي بالمجمل غنية بمعلوماتها؛ فهي تطلعنا على مقدار ما كان ينفق من أموال على القافلة، وأنواع المواد التي كانت ترافق القافلة في الذهاب والإياب، خلال تولي سليمان باشا العظم إدارة ولاية دمشق.